دراسة الصفات الدلالية للتوراة في القرآن الكريم

الدكتور حبيب مكارم نژاد
قسم تعليم الشريعة والمعارف الإسلامية، جامعة فرهنكيان طهران، إيران
makarem.0182@gmail.com

Semantic attributes of the revealed Torah in the Holy Quran

Habib Makarem nejad
Ph.D Department of Theology and Islamic Studies ,
Farhangian University , Tehran , Iran

الملخص:-

إنّ القرآن كريم باعتباره خاتم كتب الوحي في الديانات الساميّة قد تحدّث عن نصوص متشابهة وذات جذور مشتركة مع نصوصه بوتيرة عالية. وقد تمّ التعبير عن هذه النصوص للتأكيد عليها أو نقدها وقد عبر القرآن الكريم في تأكيد التوراة عن صفات كثيرة ولبعضها قواسم مشتركة بين التوراة والقرآن الكريم فمن هذه الصفات: الرحمة، الفرقان، الذكري و.. التي تدلّ أنّ التوراة يتأصّل من الوحي وهو كتاب سماويّ قد أقرّ به القرآن الكريم واعتبره مبشّراً لنفسه. إنّ انتساب التوراة إلى النبي موسى عليه السلام من أنبياء أولي العزم على شكل ألواح وخلال رحلته إلى جبل الطور التي استمرت أربعين يوماً، يعد من أهم المعطيات القرآنية ومع أن لم يذكر جميع تفاصيل التوراة في القرآن الكريم إلا أن بعض المفسرين أشاروا إلى بعض القضايا التي ذكرت في التوراة منها: عدم الشرك بالله سبحانه وتعالى، والإحسان للوالدين، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التوراة، اليهود، الصفات الدلالية للتوراة.

Abstract:-

The Holy Quran, as the last book of revelation of the Semitic religions, has spoken about the texts of its own family and roots with a high frequency. These words are sometimes expressed in the position of approval and sometimes in the position of criticizing them. In confirming the Torah, the Holy Qur'an expresses many virtues (attributes), some of which are common between the Torah and the Qur'an. Such as: Rahmat, Farqan and Zikri and… These common phrases indicate the origin of the revelation of the Torah; A heavenly book approved by the Qur'an and considered by the Qur'an to be the herald of good news. The attribution of the Torah to the first Prophet, Prophet Moses (pbuh) in the form of tablets and during her forty-day spiritual journey to Mount Tor, is one of the most important of these Quranic data. Although not all the details of the Torah are mentioned in the Qur'an, some commentators have pointed out its messages, such as worshiping God, respecting parents, etc.

Key words: Holy Quran, Torah, Jews, Quranic verses of Torah.

المقدّمة:ـ

إنّ لمعظم الأديان نصوص مقدسة تتضمن أهم التعاليم الأساسية لذلك الدين ولهذا السبب فإن أفضل طريقة لمعرفة معتقدات الدين وشعائره أن نقوم بدراسة نصوصه المقدسة وفحصها. وهذا الأمر يعتبر مهماً جداً بالنسبة للنصوص التي لها جذور في الوحي. إنّ اليهود باعتباره كدين قد ذكر مراراً في القرآن الكريم ولهذا الدين كتاب يسمّى التوراة ويعتبره الكثير من اليهود بأنّه نص مقدس ووحي لن يتغير. ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم، باعتباره آخر كتاب قد نزل للبشرية قد أشار بإيجاز في آياته إلى زمن نزول التوراة وطريقة نزوله ومضمونه؛ على الرغم من أنه قد تكلّمت المصادر التفسيرية والتاريخية عن هذا الموضوع بالتفصيل.

إنّ استخدام صفات مثل «الهدى» و«النور» للتوراة تبيّن لنا وجهة نظر القرآن حول هذا الكتاب، ولكن نرى أن القرآن الكريم يتحدث عن تحريف هذا الكتاب في آيات أخرى وتتضح النقطة اللافتة عندما نعلم أنّ لهذين الكتابين مصدر سماوي واحد. وقد تحدث كتاب التوراة والقرآن الكريم بدوره في إعادة سرد تاريخهما ومعتقداتهما وطقوسهما، مع أن القرآن الكريم قد خطا خطوات أكثر وأوسع في هذا الطريق، بما في ذلك سرد تاريخ التوراة ومحتواه ونهايته. نسعي من خلال الاهتمام بنص القرآن الكريم أن نلقي الضوء لدراسة هذا النص. ولا شك أن هذه الدراسة ستساعدنا في فهم النص المقدس وكونه نصاً وحيانياً وتحافظ عليه من أفكار وتلاعبات المسيئين والمفترين. فهناك مقالات مختلفة في هذا المجال نشير إلى بعضها: مقالة «شواهد تحريف التوراة در قرآن» للكاتبة نهله غروي النايني وعبداله فروزان فر قد طبعت في مجلة العلوم الإنسانية الزهراء، ربيع عام ١٣٧٩، الدورية ١٠، رقم ٣٣، صفحات ٨٢ حتى ١٠٦ في التأكيد علي تحريف التوراة وأيضاً مقالة «تحليل كاربردشناختي آيات تصديق براي پاسخ به مساله تحريف تورات و انجيل» للكاتب محمدعلي الطباطبايي وعبدالهادي المسعودي ومحمدعلي مهدوي راد التي طبعت في مجلّة «تفسير زبان و قرآن» عام ١٣٨٩، الدورية ٧، الرقم ٢، صفحات ١١٧ حتى ١٣٤.

لقد تحدّث الكثير وبالتفصيل عن عدم تحريف التوراة من وجهة نظر القرآن الكريم. لقد تطرّقنا في هذا البحث إلى صفات التوراة التي وردت في نص القرآن الكريم والتي تكشف مكانة

هذا النص المقدس وأصالته. يصف هذا البحث موقف المسلمين من كتاب التوراة ومحتواه بطريقة وصفية تحليلية وباستخدام المصادر التفسيرية والتاريخية الصحيحة. هذه الجهود ستساعد الباحثين الدينيين على مواكبة النقد التاريخي للكتاب المقدس الذي تم دراسته في البلدان الغربية.

التوراة لغةً

إنّ كتاب النبي موسى عليه السلام قد سمّيَ بالتوراة في القرآن الكريم وقد ورد ثمانية عشر مرة إشارةً إلى كتاب اليهود. قد ذكر للتوراة معان مختلفة في المعاجم وتفاسير القرآن الكريم منها:

١- مفردة «التوراة» بمعنى الشريعة والتعليم والتي دخلت إلى اللغة العربيّة من اللغة العبرية. (الزمخشري، ٢٠٠٩: ٣٣٥/١، المصطفوي، ١٤٣٠:١/ ٤٣٥، أيضاً راجع الطباطبايي، ١٣٨٧: ٣/ ١٠، و الجفري، ١٣٩٥: ١٦١-١٦٢)

٢- مفردة «التوراة» بمعنى الضياء والنور كما تعتقد العرب. وقد وردت في الآية القرآنية: « وَ لَقَدْ آتَينا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِياءً» وهذا يدلّ علي صحّة هذا المعنى.. إنّ مادّة مفردة «التوراة» من «التورية» علي وزن «تَفعلة» بفتح التاء وسكون الواو وفتح الراء والياء. (فخر الرازي، ١٩٨١: ١٣١/٧)

٣-وقد اعتبر علماء اللغة وعلماء العرب أن مادّة كلمة التوراة من «وَري» بمعنى «أوقدَ و أشعَلَ» (القاموس، وأيضاً ابن منظور، مدخل وري؛ الراغب، ٥٢٠-٥٢١)

٤- ولمفسِّر آخر رأي مماثل يقول: إنّ التوراة مشتقة من « اسْتَوْرَى الزَّنْدَ» أي: أخرج نارَه وقيل: من «تالورية»، لأنَ فيها الكثير من الكنايات. إنّ هذه المفردة عند علماء البصرة علي وزن «فوعلة» ك «حوقلة». قد استبدلوا الواو إلى التاء كـ: «التراث». وعند علماء الكوفة علي وزن «تفعلة» بكسر العين. وقد استبدلوا الكسرة إلى الفتحة كما في مفردة «الجارات» في «جارية»؛ و«الناصاة» في «الناصية» وقيل علي وزن التفعلة بفتح العين. (حسني واعظ، ٣٧/١)

٥- قد ورد في أحد المصادر أنّ مفردة التوراة في المعنى اللغوي والمصطلح من مادّة ירה (ي ر ه) العبرية، وهي بمعنى «التعليم» و«التعلّم» و«المبدأ». وفقاً لآراء الكثير من الباحثين أنّ ترجمة هذه المفردة بمعنى القانون أو الشريعة في اللغات البلدان الغربية

تعتبر ترجمة غير كاملة ولا تنقل المعنى الكامل للمفردة وقد أدّى استخدامها في أعمال الباحثين المعاصرين إلى خلق فهم معني الشريعة لدين اليهود. (دانشنامه بزرگ اسلامي، ١٣٦٧: ١٦/ ٦١٥٨)

زمان نزول التوراة و محتواه من وجهة نظر القرآن الكريم

وفقاً للتفاسير القرآنية، عندما كان النبي موسى في مصر إنّ الله سبحانه وتعالى قد وعده بعد انتصار بني إسرائيل على فرعون وخروجهم من مصر سيأتي من عند الله بكتاب بين لهم فيه ما يجب عليهم من الفعل والترك. ما إن خرج بنو إسرائيل ونجاهم الله من فرعون طلبوا من موسى أن يفي بوعده. وقد ناجا موسى ربّه. فأمر الله موسى أن يرتدي ملابساً نظيفة ويذهب إلى الجبل ويبقي فيه صائماً ثلاثين يوماً حتى ينزل عليه الكتاب وكان أول يوم من صيامه أوّل ذي القعدة وبعد ثلاثين يومًا أمر الله موسى أن يبقي في جبل الطور عشرة أيام أخرى حتى العاشر من ذي الحجة حتى نزل عليه التوراة. (فخر الرازي، ١٤٠١ه: ٣/ ٧٩و٢٣٥/٤؛ وراجع أيضاً تفسير المقاتل، ١٤٢٣: ١٠٤/١) وفي موضع آخر يذكر الإمام الرازي أنّ صاحب «الكشاف» نقل عن بعضهم: خرّ موسى صعقاً يوم عرفة و وأعطى التوراة يوم النحر. (فخر الرازي، ١٤٠١: ٣٦٠/١٤)

ومن القضايا المهمة حول التوراة في القرآن الكريم أن في هذا الكتاب السماوي قد وضع التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الكريم جنباً لجنب وأحيانًا معًا. (علي سبيل المثال في سورة آل‌عمران/٣/٤٨،٣) وتتناسق بعضها مع البعض ولها نفس المضامين فيمكن أن نلاحظ أن كتاب التوراة قد تم ذكره كفكر مسبق إلهي للقرآن الكريم. (آل عمران/٣/٣-٤)

وبنظرة عامة إلى القرآن الكريم نجد أنّ اتّباع بني إسرائيل واليهود للتوراة وتعليماته يجعلهم يدخلون الجنّة ويتمتعون من نعماتها. (مائده/٥/٦٥-٦٦). إن العمل وفق التوراة يشتمل على قيم ومن يعمل به له مكانة رفيعة؛ فهو ليس كأهل الكتاب فحسب، بل بسبب تعامله مع الكتاب المُنزَل يعتبر من المتدينين. يعبّر القرآن الكريم عن التوراة وغيرها من التعليمات التي نزلت على موسى بمفردة «الفرقان» يعني ما يفرق بين الصواب والخطأ. (الطباطبايي، ١٣٨٧: ٣/ ١٢ و١١) كما أنّ هناك صفات أخرى قد ذكرت للتوراة منها الذكرى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ، هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾،

(غافر/٤٠/٥٣-٥٤)، والرحمة: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، (الأحقاف/٤٦/١٢)، والضياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾، (الأنبياء/٢١/٤٨).

إنّ المرحوم الطالقاني كان يرى أن التوراة والإنجيل كلاهما كلام وحي حيث تتضمّنان أصول عقائدية وقواعد وأنظمة أصبحت كتباً وقد جاءت بالأمم. إن المعنى اللغوي لمفردة التوراة والإنجيل تدل على نفس مبادئ الشريعة ولا تدلّ علي أسفار العهد القديم الخمسة والأناجيل المختلفة بجميع أخبارها.(الطالقاني، ١٣/٥)

وفقاً لما ذُكر في القرآن الكريم إنّ مناجاة موسى مع الله قد تبدأ في الوادي المقدّس في الطور حيث يأمره الله أن يخلع نعليه إكراماً لهذه الأرض المقدّسة ﴿...يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/١١-١٢) وإنّ الله سبحانه وتعالى هكذا يقدّم نفسه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا...﴾ (طه/١٤).

وفقاً لبعض آراء المفسرين، إنّ كتاب التوراة قد نزل دفعة واحدة علي النبي موسى عليه السلام (الفخرالرازي، ١٤٢٠: ٢٦٧/١١) إنّ هذا الكتاب وفقاً لوجهة نظر القرآن الكريم قد نزل التوراة في الألواح علي موسى عليه السلام وكنموذج نورد قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، (الأعراف/٧/١٤٥)، ويُنظر الى الآيات ١٥٠ و١٥٤ من نفس السورة؛ مفردة «الالواح» في هذه الآيات هي جمع «اللوح» وهي بمعنى «لاح الشيء لوحا بدأ» اللَّوْحُ: كُلُّ صفيحة عريضة من خشب أو غيره والمراد منها ألواح التوراة وقيل إنّها كانت من الخشب أو الجلد أو الحجارة. (القرشي، ١٣٥٤: ٢١٤/٦) مع أن الطبريّ يرى أنّ الألواح كانت من الزبرجد. (الطبري، بيتا:١/ ٦٦٧)

إنّ مفردة «الألواح» قد تكررّت ثلاثة مرّات في القرآن الكريم وقد استخدمت في كل هذه الحالات في آيات ١٤٥، ١٥٠ و ١٥٤ من سورة الأعراف حيث تتكلّم الكثير من آياتها حول قوم موسى كدعوة فرعون ومعجزة العصا التي أصبحت كحيّة ومعركة السحرة في المدينة وتهديد فرعون ومعاناة بني إسرائيل وعذاب قوم فرعون و غرقهم في البحر ومرور بني إسرائيل منه وميقات موسى على جبل الطور ونزول الألواح على موسى والعجل السامري واختيار سبعين رجلاً من بني إسرائيل للميقات واثنا عشر فريقاً من بني إسرائيل والينابيع الاثني عشر وتبديل

كلام الوحي والتعدي في السبت ومسخ بني إسرائيل وضياعهم. (الأعراف/١٠٣- ١٦٩) مع أنّ في العهد العتيق قد نسب كتابة التوراة إلى موسى عليه السلام (سفرالتثنيه:٩/٣١) ولم يذكر تفاصيل هذه الألواح بصراحة في القرآن. وقد أبدى بعض المفسرين شكوكاً أن الألواح والتوراة لم تكن واحدة. وقد ورد في روايات كثيرة حول علاقة ألواح موسى عليه السلام مع التوراة. وكيفية التعبير في بعض الروايات تدلّ على العلاقة المتداخلة بين الألواح والتوراة. ويرى القرطبي أنّ هذه الألواح قد نزلت قبل التوراة. (القرطبي، ١٢٦٥ش: ٢٨٩/٧)

ويدل رأي صاحب تفسير المنار على أنه يفرق بين هذين الأمرين أيضاً. وهذا ما يقوله عن العلاقة بين الألواح والتوراة: «إنّ الألواح أوّل ما أوتيه من وحي التشريع فكانت أصل التوراة الإجمالي وكانت سائرالأحكام التفصيلية من العبادات والمعاملات الحربية والمَدَنيّة والعقوبات تنزل عليه» رشيدرضا، ١٩٩٠: ١٦٤/٩) لكن وفقاً لوجهة نظر «ابن كثير» حول الرأي المتقدم يتبين أنه يقبل الرأي الذي هو بحسب الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ (القصص/٤٣) أنّ الألواح تشتمل علي التوراة. (ابن كثير، ١٤٢٠ه: ٧٨٤/٥، أيضاً الطبرسي، ١٤٢٧/٤: ٢٦٢) وأيضاً وفقاً لوجهة نظر « ابن‌الجوزي» إنّ الألواح فيها التوراة وعندما ألقاها «رُفع منها ستة أسباع وبقي سُبع» (ابن الجوزي، ١٤٠٤هـ. ٥: ٢٦٤) ووفقاً لوجهة نظر السيوطي إنّ الألواح هي التوراة «أي ألواح التوراة» (السيوطي، ٢١٣/١)

ايجي الشافعي مفسّر القرن العاشر هـ مع أنّه يعتقد أنّ الألواح قد نزلت قبل التوراة ولكنّه يرجح القول أنّ الألواح والتوراة كتاب واحد. (ايجي شافعي، ١٤٢٤: ٦٥٢/١)

ويرى مؤلف تفسير المقاتل أنّ اله سبحانه وتعالى كتب الألواح بيده وكانت تبتدأ بهذه العبارة: «انى انا اللّه الذي لا اله الا انا الرحمن الرحيم». ويعتقدهذا المفسر أنّ الله أمر اليهود بتسع وصايا قد جاءت في الألواح على النحو التالي:

- لا تشركوا
- لا تقتلوا
- لا تزنوا
- لا تسرقوا
- لا تسبوا آبائكم. (مقاتل،٢٠٠٢: ٢ /٦٤-٦٣)

إنّ الآلوسي بعد أن يشرح بالتفصيل عن مضمون الألواح وعددها، يشير إلى تضارب الروايات حول هذه القضية. وفقاً ما تنقل عنه الأخبار إنّ رأي الأغلبية هو أن كل ما يحتاجه الإنسان في الأرض إلى يوم القيامة موجود في التوراة. ولكن الحدّ الأدنى من الرأي حول الهدف من التعبير: «موعظة وتفصيلاً لكل شيء» أي كتبنا فيها تفصيل كل شيء يحتاجون إليه من الحلال والحرام ونحو ذلك؛ علي سبيل المثال يكتب الإمام فخر الدين الرازي: «فَلَا شُبْهَةَ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعُمُومِ بَلِ الْمُرَادُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مُوسَى وَقَوْمُهُ فِي دِينِهِمْ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْمَقَابِحِ.» (فخرالدين الرازي، ١٤١٠: ٣٦٠/١٤) ويرى الواحدي في هذا المجال أنّ «تفصيلا لكل شيء» هو بمعنى «هداية إلى كل أمر هو لله رضا». (الواحدي، ١٤١٥: ٤٠٩/٢) ومع هذا، يعتقد الإمام فخر الدين الرازي: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي لَفْظِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَيْفِيَّةِ تِلْكَ الْأَلْوَاحِ، وَعَلَى كَيْفِيَّةِ تِلْكَ الْكِتَابَةِ فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ التَّفْصِيلُ بِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ قَوِيٍّ، وَجَبَ الْقَوْلُ بِهِ وَإِلَّا وَجَبَ السُّكُوتُ عَنْهُ» (فخر الرازي، ١٤٠١: ٣٦٠/١٤)

فقيل كانت سبعة أو عشرة ألواح، وقيل: لوحين. وأنها كانت من زمرد أخضر، أمر الرب تعالى جبريل عليه السلام فجاء بها من عدن، وأنّها كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثني عشر ذراعا. ويرى الآلوسي حول مضمون كتاب التوراة بحسب الراوايات الواردة هي عبارة عن عدم الشرك بالله تعالى، والشكر لله وللوالدين ولا قتل النفس التي حرم الله تعالى إلاّ بالحقّ وعدم الحلف بالكذب ولايحسد الناس علي ما أعطاهم الله، وعدم الشهادة بالكذب، ولا تزن ولا تسرق ولا تذبحن لغيري فإني لا أقبل من القربان إلا ما ذكر عليه اسمي وكان خالصا لوجهي، وتفرغ لي يوم السبت. (الآلوسي، ١٤١٥هـ: ٥٥/٥-٥٦) يقسّم ابن الجوزي المفسّر القرن السادس ه.ق. هذه الألواح إلى سبعة أقسام بحسب الروايات الواردة إذ يقول: زبرجد، گفتهي ابن عباس، ياقوت گفتهي سعيدبن جبير، زمرد سبز گفته-ي مجاهد، بَرَد گفتهي ابوالعاليه، چوب گفتهي حسن، صخر گفتهي وهب بن منبه، زمرد و ياقوت گفتهي مقاتل. هم‌چنين دسته بندي اين مفسر دربارهي شمار الواح اين‌گونه است: هفت لوح كه سعيدبن جبير از ابن عباس نقل مي كند، دو لوح كه از ابن عباس نقل شده و الفراء مي‌پذيرد، ده لوح قول وهب و نُه لوح قول مقاتل. دربارهي محتواي الواح نيز دو قول مشهور را نقل مي‌كند كه يكي مي‌گويد هر آن‌چه از حلال و حرام و واجب دين لازم بوده بيان شده؛ و ديگر قول كه از حِكم و عِبَر سخن مي‌گويد.(ابن-

الجوزي، ١٤٠٤هـ: ٢٥٨/٥-٢٥٩) سيد قطب دربارهي محتواي اين الواح، سكوت نموده است و نقل برخي گفتهها در اين زمينه در تفاسير و كتب اسلامي را برگرفته از اسرائيليات مي‌داند و به بيان كلي اين نكته كه در الواح رسالت و هدف آن گفته شده، بسنده مي-كند(سيد قطب،١٣٨٦: ٧٧/٣) ويرى العياشي في شرح الآية: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ (الأعراف/١٤٥) ويعتقد أن موسى ظن أن جميع الأشياء موجودة في التابوت، وعلم جميع العلوم مكتوب في التوراة، بينما كانت هناك علوم لم تكتب في التوراة لموسى (ربما إشارة إلى تعلم موسى من الخضر) (العياشي، ١٤٢١هـ: ٣٣١/٢) يقول آيت‌الله جوادي الآملي في تفسيره أنّ التوراة هو تفصيل لكل ما يحتاجون إليه بني إسرائيل. (وتفصيلاً لكل شي) وإنّ النبيّ موسى عليه السلام قد وفّر جميع ما يحتاج إليه قومه، كما كان التوراة هدي ورحمة للنّاس. فيقول في مواصلة حديثه حول هذه الآية وشأن نزول التوراة: «إن الله سبحانه وتعالى قد تجلّي بالصفات الأربعة الفهم والتفصيل والهدى والرحمة حتى يؤمن بنو إسرائيل بيوم القيامة. ومن وجهة نظر هذا المفسر لم يتناول كتاب التوراة المتواجد حالياً قضية المعاد كما هو في القرآن الكريم مع أهميّة هذه القضية إلا بعض الإشارات حيث لا يمكن أن يستدل بها. في حين أن الله سبحانه وتعالى في الآية التي تم مناقشتها يعتبر المعاد هو الغرض الأساسي من نزول التوراة» (الآملي، ١٣٨٥، ٢٧/ ٥٣٧ ـ ٥٣٥) يذكر القرطبي عن ابن‌عباس: «عندما وعندما ألقي موسى الألواح رُفع منها ستة أسباع وبقي سُبع» (القرطبي،بيتا،ج٤: ١٨٣) يقول الميبدي حول مضمون الألواح: «قد جاء في المصنّفات كان فيما أعطى الله تعالى موسى في الألواح: يا موسى إذا أردت أن تكون وجيهاً عندنا والمقام المحمود لدينا، ارفق بالأيتام، ولا تخذل الفقراء. يا موسى! أنا الذي نزلت رحمتي علي الأيتام، وأنا الرحمن والمتسامح معهم» (الميبدي،بيتا:٧٤٧/٣) إنّ كتاب الميزان يبيّن لنا ما جري علي التوراة عندما انتصر بخت نصر من ملوك بابل علي اليهود قبل الميلاد بستة قرون تقريباً؛ فقد أحرق التوراة وزماناً طويلاً لم يبق منه أثر حتى استطاع عزراء أحد كهنة اليهود في بداية القرن السادس قبل الميلاد أن يفتح بابل بمساعدة الكسري كوروش أحد ملوك الفرس العظام وتلطّف علي الأسري من بني إسرائيل وأذن لهم بالرجوع إلى الأرض المقدّسة وأجاز أن يكتب لهم التوراة. (الطباطبايي،١٣٨٧: ٥٠٥/١٧)

صفاة التوراة في القرآن الكريم:

١- الرحمة

ومن الصفات التي ذكرت في القرآن الكريم هي صفة الرحمة، فيقول سبحانه وتعالى في عدة آيات: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥٤) وأيضاً: «هدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون» (الأعراف/ ١٥٤) وأيضاً: ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص/ ٤٣) و ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (الأحقاف/ ١٢).

إن الجانب النظري والعملي للتوراة المذكور في هذه الآية هما: الهداية في الجانب النظري، والرحمة في الجانب العملي. إن هذه الهداية هي في مجال العمل الفكري والرحمة في مجال أعمال الإنسان. فمن وجهة نظر التوراة إنّ الإنسان يحتاج إلى المعرفة والسير في هذا طريق وهذه هي الهداية الأولى وأما الثانية فهي السير على هذا الطريق. فالأولي هي المعرفة الصحيحة والثاني هو العمل الصالح. إنّما بالعلم الصالح تتحقق الهداية وبالرحمة سيتحقّق العمل الصالح. (جوادي الآملي، ١٣٨٥: ٢٧/ ٥٣٥)

وكذلك الآية الكريمة: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف/ ١٢) وكون التوراة إماما ورحمة هو كونها بحيث يقتدي بها بنو إسرائيل ويتبعونها في أعمالهم ورحمة للذين آمنوا بها واتبعوها في إصلاح نفوسهم. (الطباطبايي، ١٣٨٤: ٥/ ٢٩٩) في هذه الآية قد يكون تفسير (إماماً والرحمة) بعد أن تذكر بعد الإمام والقائد ربما تتبادر إلى الأذهان قضية الواجبات الدينية الصعبة لما كان لهم من ذكريات عن أئمّتهم. لكن ذكر صفة «الرحمة» تصحح هذه علاقة حيث تقول: إنّ إمامة هذا الإمام مقرونة بالرحمة وإن جاء بالواجبات فهي رحمة وأي رحمة أفضل من تزكية النفوس.

٢- الذكر

صفة «الذكر» من الصفات التي ذكرت للتوراة في القرآن الكريم. قد جاء في بعض آيات القرآن الكريم أنّ هدف نزول التورة هو التذكير لأولي الألباب والنهي: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (الغافر/ ٥٤- ٥٣) كما استخدمت

صفة «الذكرى» للقرآن الكريم: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود/ ١٢٠). ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (يس/ ٦٩) ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (الأنبياء/ ٥٠).

وقد أشار القرآن الكريم إلى كتاب الزبور للنبي داود عليه السلام وقد أطلق علي التوراة بصفة الذكر (الأندلسي، ١٤٣٦هـ.:٥/ ٢٩٢) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٥) وفي كتاب مجمع البيان قد ذكرت عدّة معان أحدها التوراة: «وثانيها ان الزبور الكتب المنزله بعد التوراة و الذكر هو التوراة عن ابن عباس وضحاك، ثالثها ان الزبور زبور داوود، والذكر توراه موسى، عن الشعبي» (الطبرسي، ١٣٨٠: ١٧/١١٩).

وكما قال الله سبحانه وتعالى أن الهدف من نزول القرآن هو تحذير عامة الناس وتذكيرهم ولا يختصّ هذا الأمر بالمسلمين فحسب: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة/٢٢١) ويقول سبحانه وتعالى عن التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص/٤٣) ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء/٤٨).

٣- التفصيل

إنّ صفة التفصيل من الصفات التي ذكرت للتوراة في القرآن الكريم والتي ذكرت في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام/ ١٥٤) يقول الآلوسي مع تفسيره لهذه العبارة: «وتفصيلاً لكل شيء» يقول: «أي بياناً مفصلا لكل مايحتاج اليه في الدين، دلالة فيه علي انه لا اجتهاد في شريعه موسى عليه السلام خلافاً لمن زعم ذلك، فقر ودر مثله في صفه القرآن كقوله تعالى في سوره يوسف عليه السلام وتفصيلَ كل شي» (الآلوسي، ١٤٠٥ق: ٥/ ٨٩)

ولكن يقول فخر الدين الرازي في كتاب تفسيره: «آتينا موسى الكتاب تماماً، أة تاما كاملاً علي احسن ماتكون عليه الكتاب»:... وفي مواصلة الحديث ينقل قول الكلبي: «والمراد من تفصيل كل شيء هو: من النعم في الدين والمراد به ما يتخص بالدين فدخل في

ذلك بيان تبوه رسولنا ﷺ الدينه، و شرعه و ساير ادله و احكام الامانسخ منها» (فخر الرازي، ١٤١٠ق: ٥/ ٤).

ويقول الطبرسي في تفسير هذه الآية: «تفصيلاً ـ أي بياناً لكل مايحتاج اليه الخلق» (الطبرسي، ١٣٨٠: ٢ / ١٩٧) إنّ مفسر كتاب التسنيم يقول في تفسير عبارة «تفصيل كل شيء»: «إنّ التوراة تفصيل لجميع ما تحتاجه بنو إسرائيل. (وتفصيلاً لكل شي) كما أن موسى عليه السلام قد وفّر لأمّته جميع ما كانوا يحتاجونه، كما كانت التوراة هدى ورحمة لتلك الأمّة.» ووفقاً لهذه الآية يذكر بعض الخصائص كهدف نزول التوراة حتى يؤمن اليهود بالمبدأ الأساسي والمهم لدعوة الأنبياء وهو المعاد. ويقول في هذا المجال: «إن الله سبحانه وتعالى قد تجلّي بالصفات الأربعة الفهم والتفصيل والهدى والرحمة حتى يؤمن بنو إسرائيل بيوم القيامة. ومن وجهة نظر هذا المفسر لم يتناول كتاب التوراة المتواجد حالياً قضية المعاد كما هو في القرآن الكريم مع أهميّة هذه القضية إلا بعض الإشارات حيث لا يمكن أن يستدل بها. في حين أن الله سبحانه وتعالى في الآية التي تم مناقشتها يعتبر المعاد هو الغرض الأساسي من نزول التوراة. (جوادي الآملي، ١٣٨٥: ٢٧/ ٥٣٧ـ ٥٣٥).

يقول العلامة الطباطبائي بهذه النظرة: « أن التوراة الحاضرة التي يذكر القرآن أنها محرفة لا يوجد فيها ذكر من البعث يوم القيامة، وقد ذكر بعض المؤرخين منهم أن شعب إسرائيل ما كانت تعتقد المعاد» (الطباطبايي، ١٣٨٤: ٣٩٦/٧)

وعلى الرغم من هذه الأجواء التي تحكم التوراة وتعليقات المفسرين إلا أنها دفعت بعض الباحثين أن يزعموا بأن ما ورد في الآية الكريمة يدل على أن التوراة ليس كتابا كاملاً من حيث الشريعة والشرائع التي يحتاجها الإنسان، والأمر كذلك. كما هو في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ (المائدة/ ٤٨)، بعد أن يذكر التوراة والإنجيل تصف الآية بأنّ القرآن الكريم هو المهيمن والمصدق للتوراة والإنجيل. (فعال العراقي، ١٣٨١: ٢٤)

٤- البصيرة

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص/ ٤٣).

«البصائر» جمع «البصيرة». والمقصود هنا تلك الآيات والأسباب التي تنير قلوب المؤمنين، ومن هذه البصيرة أيضاً الهدى والرحمة، ويليها إنذار القلوب المستعدة وإيقاظها.

البصيرة أي المعرفة والتحقق (مفردات الراغب، كلمة البصر) والمعرفة والوعي، وكلمة «الأبصار» جمع «البصير»، أي «العين». والظاهر أن المراد بها الرؤى والتوجيهات والأسباب الواضحة والبراهين التي بها يجد الناس العلم والمعرفة والرؤية الصحيحة، ويتجهون نحو معرفة الحكمة والهدى والنجاة. ويُمكن فهم هذا المعنى من قول الشيخ الطبرسي أنه يعتبر البصائر أدلة وبراهين للناس لتكون عبرة لهم في فهم شؤونهم الدينية وسببا لفهم أحكام شريعة اليهود.(الطبرسي، ١٣٨٠: ٣٢٠/٧) من حيث أنّ الله سبحانه وتعالى هو البصير: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ (الاسراء/ ١٧)، إنّ الكتب الإلهية قد جاءت للبصيرة ووعي البشرية ولهذا قد استخدمت لفظة البصائر أيضاً في القرآن الكريم: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/ ٢٠٣) ويقول سبحانه وتعالى عن التوراة: «بصائر للناس»

٥- الفرقان

في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/ ٥٣)، وقد يكون المقصود من الكتاب والفرقان هو مضمون التوراة الذي يتضمن مبادئ الدين، وهذه المبادئ هي تفرّق بين الحق والباطل. وقد يشير الكتاب والفرقان أيضاً إلى المعجزات التي أعطاها الله لموسى عليه السلام، أو قد يعني النصر والفرج الذي أنعمه الله على بني إسرائيل. (فخرالرازي، ١٤٠١هـ: ٤/ ٨٣) وقد اختلف المفسرون في معنى هاتين الكلمتين ومعناهما، وسنذكر البعض منها. وبحسب آراء بعض المفسرين إن هذه التفاسير المختلفة لا تتعارض بعضها مع البعض.

ويرى الزمخشري أنّ الفرقان هو التوراة (الزمخشري، ١٤١٥ هـ. ق: ٣/ ١٢٢). كما قال سبحانه وتعالى في وصف القرآن الكريم: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان/١) كما يقول عن التوراة: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/ ٥٣). المراد من «الكتاب» هو التوراة المعهود والمراد من «الفرقان» هو سبب الهداية. لأنّ «الإهتداء» في نهاية الآية قد تمّ التعبير عنه على أنه حكمة لهذه النعمة، فهي تدل على أن

الفرقان له أثر للهداية. وذهب بعض المفسرين إلى أن الفرقان يعني نفس الكتاب. (مغنية، ١٣٨٦: ١/ ١٢٠)

ويرى آية الله جوادي الآملي قد يكون عطف الفرقان علي الكتاب هو عطف صفة علي صفة أخرى وكل صفة تعبر عن جانب من التوراة. أي أننا أنعمنا على موسى عليه السلام بنعمة هي الكتاب والفرقان في آن واحد، وقد يكون المراد من الكتاب والفرقان شيئين مختلفين. أي: لقد آتينا موسى الكتاب (التوراة) وآتيناه الفرقان. وعلى هذا فالمراد من الفرقان هي المعجزات والبراهين ونحوها. (جوادي الآملي، ١٣٨٥: ٤/ ٤٣١).

قد يكون الفرقان يتضمّن التوراة ومعجزات النبي موسى عليه السلام وليس هناك تعارض بين هذين التفسيرين. الفرقان أي وسيلة للتمييز وهو ما يمكن استخدامه لتمييز الحق من الباطل. الفرقان هو المصدر كـ «فرق» ولكنّه أبلغ من الفرق. ولكن الراغب الأصفهاني يعتبر كلمة الفرقان اسماً. (الراغب، ١٤١٦ هـ. ق: ذيل فرق) وقد اتّصفت التوراة بالكتاب لأنها تتضمّن مجموعة شاملة من الشرائع والتعاليم والأخلاق والفقه والحقوق ويشير الفرقان إلى تمييزها بين الحق والباطل، والصدق والكذب ونحو ذلك. وفي التعبير الثالث، إنّ عطف الصفات علي بعضها البعض قد يكون بسبب إلصاق معني هذه الصفات في ذاكرة المتلقّي. (جوادي الآملي، ١٣٨٥: ٤/ ٤٣١)

وفي آية أخرى تؤكد صفة «الفرقان» للتوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء/ ٤٨) إنّ العلامة الطباطبايي يرى أن المراد من الفرقان والضياء اللذان ذكرا في هذه الآية هو التوراة ويقول: «والآية التالية تشهد أن المراد بالفرقان والضياء والذكر التوراة آتاها الله موسى وأخاه هارون شريكه في النبوة. والفرقان مصدر كالفرق لكنه أبلغ من الفرق، وذكر الراغب أنه على ما قيل اسم لا مصدر وتسمية التوراة الفرقان لكونها فارقة أو لكونها يفرق بها بين الحق والباطل في الاعتقاد والعمل، والآية نظيرة قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الطباطبائي، ١٣٨٤: ١٤/ ٤١٧) وتؤكد ذلك أن كتاب التوراة في آيات أخرى يوصف بالنور وهذه الصفة أقرب إلى مفردة الضياء في المعنى، وأيضا سورة الصافات تعبر عنه بأنّه الكتاب المستبين الذي أنزل على موسى وهارون. ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى

مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ (الصافات /١١٧-١١٤) وكذلك مؤلّف تفسير مجمع البيان يرى أنّ المراد من الفرقان هو كتاب التوراة الذي يحكم بين الحقّ والباطل. (الطبرسي، ١٣٨٠: ٧/ ٩٢)

٦- الضياء والكتاب المستبين

إنّ صفة «الضياء» و «الكتاب المستبين» من الصفات التي ذكرت في القرآن الكريم واختصّت بكتاب للتوراة. هناك آراء وأفكار مختلفة ومتضاربة بين العلماء واللغويين حول الفرق بين «الضياء» و «النور». لكن الرأي الذي يبدو أدق هو أنّ هاتين الكلمتين وإن كانتا مترادفتين في كثير من الأحيان إلا أنهما تختلفان أحياناً، لأن: الضوء والضياء يعنيان الضوء بذاته ولكنّ النور هو الذي يأ الضوء من شيء آخر. ولكن الرأي الأصحّ هو أن الكلمتين المذكورتين وإن كانتا مترادفتين في كثير من الأحيان إلا أنهما مختلفتان في بعض الأحيان لأنّ الضوء والضياء يعني النور الطبيعي، ولكن النور هو الذي يستلم النور من غير نفسه، فهو كلام الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس/٥) (العسكري، ١٣٧٩: ٣٣٣).

إنّ الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الانبياء/ ٤٨) تبين لنا هذه الآية أن التوراة قد نوّرت الحياة وذكّرت المتقين بطريق الهدى والحاجات الدينية، ولهذا أطلق علي التوراة صفة الضياء لأنها قد بيّنت طريق المتقين إلى الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة. ولذلك في آية أخرى وهي قريبة من هذا المعنى تطلق عليه بأنّه الكتاب المستبين: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ (الصافات/ ١١٧-١١٤) المستبين بمعنى المبين؛ والمبين وقد جاء للتأكيد والمبالغة أي أكثر نوراً وتبياناً. (الهاشمي الرفسنجاني، ١٣٨٦: ١٥/٤٦١).

تشير هذه الآية أنّ الكتاب المقدّس لموسي و هارون (التوراة) يتضمّن المعاني والمضامين الواضحة والمفهومة للجميع وقد أجابت جميع حوائج الدين والدنيا والآخرة لبني إسرائيل والبشر آنذاك. لقد كان كتاباً واضحاً مشرقاً وقد عبّر و أوضح المجهول النهائي وعبّر عن أمور كان يحتاجها الإنسان ويفتقدها وتخفي عنه. قد ورد في كتاب تفسير «مجمع البيان» أنّ الضياء من صفات التوراة حيث كان قوم موسى عليه السلام يستضيئون من نوره حتى يهتدون:

«(وضياء) أي: وآتيناهما ضياء وهو من صفة توراة أيضاً مثل قوله (فيها هدي ونور) والمعنى انهم استضاءوا بهاحتي اعتدوا في دينهم» (الطبرسي، ١٣٨٠: ٧/ ٩٢).

٧- الإمام

ورد في القرآن الكريم بالإضافة إلى الصفات المشتركة بين التوراة والكتاب المقدس بعض صفات التوراة وخصائصها، مما يدل على أهمية كتاب التوراة ومكانته الرفيعة في القرآن الكريم. فمن أهمّ الصفات التي ذكرت للتوراة هي صفة «الإمام» إذ تم إطلاق هذه الصفة علي كتاب التوراة دون الكتب المقدّسة. يقول الراغب الأصفهاني في شرح هذا اللفظ: «والامام: المؤتم انساناً كان يقتدي بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك معقاً كان أو مبطاً. جمعه ائمه و قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء /٧١) اي بالذي يقتدون به وقيل: بكتابهم... (الراغب الاصفهاني، ١٤١٦ هـ. ق: مدخل إمام).

الإمام لغةً يعني القدوة والقائد. ولذلك قد وردت في القرآن الكريم عدة مصاديق وأحد أمثلتها هو «الطريق السريع» الذي يالدخول فيه يجعل الإنسان أن يصل إلى وجهته، ولا يلاقي فيه طرقاً أخرى من أوله إلى نهايته حتى لا يتيه ولا يحتاج إلى أي إشارة ويلق علي هذا الطريق اسم «الإمام». ولذلك إنّ الله سبحانه وتعالى يتذكر الطريق في الشام وما بجواره من آثار لوط وأصحاب الأيكة ويعبّر عنه بالإمام: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر/ ٧٩-٧٨) ولهذا تمّ اطلاق اسم «الامام» علي كتاب التوراة الإلهي لأنّه كان يقتدي به الناس في زمن النبي موسى وبعده وكان كتاب التوراة طريقاً دون الحيرة والضلال ويصل العامل به إلى هدفه. ولهذا يطلق علي صفة «الإمام» علي الإنسان الكامل لأنه يمتلك معرفة بالكتب السماوية، والسيرة والسنّة، وقوله وكلماته طريق واضح يقود الطالب إلى مقصده. «وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا» ويعتبر بعض المفسرين أن إطلاق صفة الإمام علي الطريق، والكتاب السماوي، واللوح المحفوظ، والإنسان الكامل هو من حيث تطبيق معنى الحكم على مصاديقه الواضحة، وليس من حيث التفسير المفهومي. (جوادي الآملي، ١٣٨٥: ٦/ ١٢٥).

وكما ذكرنا آنفاً إن لفظ الإمام قد استخدم للتوراة بالنسبة لغيره من الكتب المقدّسة.

يقول سبحانه وتعالى في سورة هود: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود/ ١٧) إنّ هذه الآية تشير إلى أنّ التوراة كتاب إلهي نزل على النبي موسى عليه السلام وهو يتضمن بشرى لهبوط القرآن الكريم وهو دليل واضح على صدقه وأن من له بصيرة إلهية يفهم دلالة التوراة على نزول القرآن وتعبّر هذه الآية عن عظمة التوراة في مقارنة مع غيره من الكتب السماوية من وجهة نظر القرآن الكريم: «ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمةً» إنّ في «سوره الأحقاف» قد استخدم تعبير «إماماً» كصفة للتوراة: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف/ ١٢).

مع تصديق التوراة وموائمة رسالته ومضمونه مع القرآن الكريم فإنه يعبر عن أهمية التوراة بين الكتب المقدسة ويصف هذا الكتاب بأنه الإمام والرحمة التي كانت مثالاً للحياة وتبلور الرحمة الإلهية بين الأسلف. إن كلمة «إماماً» في هذه الآية تنطبق تماماً على كتاب التوراة الإلهي ويمكن فهم مكانة التوراة الفريدة بين الكتب الإلهية المنزلة قبل القرآن الكريم.

ويمكن فهم تفصيل لفظ «الإمام» وتفسيره من خلال الآية ٤٤ من سورة المائدة؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ في كتاب «تفسير نمونه» قد جاء سبب استخدام لفظ «الإمام» للتوراة كما يلي: قد يكون إستخدام صفة الإمام لكتاب التوراة يرجع إلى أن شرائع دين موسى عليه السلام متضمنة في هذا الكتاب بشكل عام وحتى المسيحيين قد أخذوا الكثير من تعاليمهم من التوراة. (مكارم، ١٣٨٠: ٩/ ٥٦).

قد ذكر في كتاب تفسير «مجمع البيان»: (اماماً) يوتم به في امور الدين (ورحمة) أي: ونعمة من الله تعالى على عباده، وقيل معناه ذا رحمة أي: سبب الرحمة لمن آمن به). (الطبرسي، ١٣٨٠، ٥/ ٢٥٥). ولكن في الآية: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ...﴾ قد تمّ التأكيد على نزول كتاب التوراة من عند الله وتسميته كتاب الله وآياته ووصفه بالهدى والنور واتباع الأنبياء والربانيّين والأحبار وحفظهم لكتاب الله وتكفير من لا يحكم بشرائعه. وتشير هذه التعابير

إلى شمولية التوراة وقيادتها مقارنة بسائر الكتب المقدسة قبل القرآن واتّباع الأنبياء حتى أنبياء أولوالعزم كالنبي عيسى عليه السلام (إلا في بعض الحالات التي نسخت فيها تلك الشرائع).

ويرى العلامة الطباطبايي في تبيين المفردتين «إماماً ورحمة»: « ومن هنا يظهر وجه توصيف كتاب موسى وهو التوراة بالإمام والرحمة فإنه مشتمل على معارف حقة وشريعة إلهية يؤتم به في ذلك ويتنعم بنعمته وقد ذكره الله بهذا الوصف في موضع آخر من كلامه؛ قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ * وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف /١٢-١٠) (الطباطبايي، ١٣٨٤: ١/٢٧٧- ٢٧٦).

نتيجة البحث:

بدراسة الآيات التي ذكرت فيها مفردة التوراة وفحصها يتبين لنا:

١- إنّ الاستخدامات القرآنية لهذه المفردة تدلّ علي مكانة التوراة ويرافقها تأكيد على أن هذا الاستخدام يشير إلى أنّ هذا الكتاب قد نزل وحياً من السماء ومن هذه الآيات: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ...﴾ (آل‌عمران:٣-٤)

٢- من وجهة نظر القرآن الكريم فإن كتاب التوراة هو المصداق الحقيقي لما أنزله الله تعالى من الحقائق للبشرية ووفقاً للنظام الفكري للقرآن الكريم فإن هذا الوحي في جميع مراحله يكون مصوناً من أي خطأ وتلاعب من قبل شياطين الجنّ والإنس.

٣- إنّ هذا الكتاب السماوي (القرآن الكريم) قد جعل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن الكريم بجانب بعضها البعض، وأحياناً تكون متوافقة مع بعضها البعض وتحتوي علي مفاهيم متشابهة. وبهذا يمكن أن نعتبر التوراة قد تم ذكره كفكر إلهي مُسبَق للقرآن الكريم.

٤- إنّ العمل وفق التوراة يشتمل على قيم يجعل التابعين له أن يدركوا أن لهم مكانة

عالية ليس كأهل كتاب فحسب بل بسبب طريقة تعاملهم مع كتابهم المقدس، فهم من أهل الدين.

٥- إنّ إسناد الصفات مثل الهدي والنور والفرقان وغيرها تبيّن الساحة المقدسة وتدلّ علي أنّ التوراة قد جاء لهداية البشر، وتتضاعف أهمية إسناد هذه الصفات عندما يكون للقرآن نفسه مصدر من الوحي بلا شك.

٦- صفة الإمام من الصفات الخاصّة للتوراة التي ذكرت في القرآن الكريم؛ قد ذكرت هذه الصفة مرتين بعد أن ذكر كتاب موسى عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. ابن الجوزي، عبدالرحمان (١٤٢٣هـ) زادالمسير في علم التفسير، بيروت، دارابن حزم.
٢. ابن كثيرالدمشقي، اسماعيل (١٤١٩) تفسير القرآن العظيم، بيروت، دارالكتب العلمية.
٣. ايجي شيرازي شافعي، محمد (١٤٢٤هـ) جامع البيان في تفسيرالقرآن، حاشيه محمدبن عبدالله الغزنوي، بيروت، دارالكتب العلميه.
٤. الآلوسي البغدادي، شهاب‌الدين سيدمحمود (١٤٠٥هـ) تفسير روح‌المعاني في تفسير القران و السبع المثاني، بيروت، دار احياء التراث العربي، چاپ چهارم.
٥. بلاغي، محمدجواد (١٣٦٣) الهدي إلى دين المصطفي، بيروت، مؤسسه الاعلمي للمطبوعات.
٦. جفري، آرتور (١٣٩٥) واژه‌هاي دخيل در قرآن كريم، تهران، توس.
٧. جوادي آملي، عبدالله (١٣٨٥) تفسير تسنيم. قم، مركز نشر اسراء، چاپ اول.
٨. حسني واعظ، محمود (بيتا) دقائق التاويل و حقايق التنزيل، محل نگهداري كتابخانه مجلس شوراي اسلامي.
٩. دانشنامه بزرگ اسلامي (١٣٦٧) زير نظر سيدمحمدكاظم موسوي بجنوردي، تهران، مركز بزرگ دائره المعارف اسلامي
١٠. الراغب اصفهاني، حسين بن‌محمدبن‌فضل (١٤١٦هـ. ق) مفردات الفاظ قرآن، دمشق، دارالقلم، چاپ اول.
١١. رشيدالدين الميبدي، ابوالفضل (١٣٥٧) كشف الاسرار و عده الابرار، معروف به تفسير خواجه عبداله، تهران، امير كبير.
١٢. رشيدرضا، محمد (١٩٩٠) المنار، مصر، مطبعه المنار.

١٣. الزمخشري، جارالله محمودبن‌عمر (١٤١٥هـ.ق) تفسير الكشاف عن حقايق غوامض التنزيل، قم، دارالقلم، چاپ دوم.

١٤. السيوطي، المحلي (بيتا) تفسير جلالين، تحقيق مروان سوار، بيروت، دار المعرفه.

١٥. الطالقاني، محمود (١٣٤٥) پرتوي از قرآن، تهران، شركت سهامي انتشار.

١٦. الطباطبايي، محمدحسين (١٣٨٤) تفسير الميزان، ترجمه محمدباقر موسوي همداني، دفتر انتشارات اسلامي، قم، چاپ بيستم .

١٧. الطبرسي، شيخ ابوعلي‌بن‌فضل‌بن حسن (١٤٢١هـ) مجمع‌البيان في تفسيرالقرآن، بيروت، دارالعلوم.

١٨. الطبري،محمد (بي‌تا) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آيه القرآن، قاهره، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية. عسكري، ابوهلال (١٣٧٩) معجم الفروق اللغويه، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، چاپ اول.

١٩. العياشي، محمد (١٤٢١) تفسيرالعَياشي، قم، موسسه‌البعثة.

٢٠. فخر الرازي، ضياءالدين عمر (١٤١٠ هـ.ق) تفسير فخر رازي (معروف به تفسير كبير و مفتاح الغيب)، بيروت، دارالفكر، چاپ اول.

٢١. فعال عراقي، حسين (١٣٨١) يهود در الميزان، تهران، سبحان، چاپ اول.

٢٢. فلامرزي، منوچهر . لاجوردي فاطمه (١٣٦٧) دائرة المعارف بزرگ اسلامي. ج١٦. ذيل واژه‌ي تورات.

٢٣. القرشي، علي‌اكبر (١٣٥٤) قاموس قرآن، تهران، بيجا.

٢٤. القرطبي، محمد (٢٠٠٦) الجامع لأحكام القرآن. بيروت.الرسالة.

٢٥. مغنيه، محمدجواد (١٣٨٦) تفسير كاشف، ترجمه موسى دانش، قم، بوستان كتاب، چاپ اول.

٢٦. مقاتل، ابوالحسن (٢٠٠٢) تفسيرمقاتل. دراسة وتحقيق محمود شحاته. بيروت. موسسة تاريخ العربي.

٢٧. مكارم شيرازي، ناصر (١٣٨٠) تفسير نمونه، تهران، دارالكتاب الاسلاميه.

٢٨. الواحدي النيشابوري، علي (١٤١٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، بيروت، دارالكتب العلميه.

٢٩. هاشمي الرفسنجاني، علي‌اكبر (١٣٨٦) تفسير راهنما، قم، بوستان كتاب، چاپ دوم.